ظَوَاهِرُ مِن التّـمَرُّدِ فِي الشّعْرِ الأُمَوِيّ

محمد دوابشة

تلخيص:

إن الحديث عن الظواهر الأدبية التي ظهرت في الشعر الأموي حديث طويل، يستحق المناقشة العلمية السليمة التي تضع شعراء العصر وموضوعاتهم الشعرية في الموضع الذي يستحقونه، بعد أن تغيرت المقاييس التي كتب بها وتبدلت الصور التي رسمت لأبعاده، فقد أصاب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية في العصر الأموي بعض التغيير، فدعت كثيرا من الشعراء إلى التمرد وعدم الانسجام بالواقع، لذا برزت هذه الظاهرة — ظاهرة التمرد – بروزا جليا في أشعارهم ولأسباب مختلفة. وقد اختارت هذه الورقة نماذج من تلك الأشعار؛ لتدرسها وتكشف أبعادها.

مقدمة:

امتدت الدولة الأموية من بلاد فارس شرقا إلى الأندلس غربا، وتشكلت من عناصر مختلفة وطبقات متباينة، فوجدت طبقة مترفة، أخذت من اللهو والمجون بحظ وافر، بينما الأخرى يتقاسمها الفقر والحرمان؛ وكانت الثانية تكدح وتشقى؛ لينعم بعض من عِلْيَة القوم في الحياة الرغدة والعيش الناعم، غير مفكرين في جوع الناس، ولا في شظفهم. وما ظاهرة التمرد في هذا العصر إلا ردة فعل على ما كان يجري، سياسيا واجتماعيا ودينيا. مما دفع بعض الناس إلى التمرد "ذلك أن قوما ما يئسوا من الغنى، ورأوا أن نفوسهم لا تطاوعهم للقرب من ذوي الجاه، أو حاولوا ذلك ففشلوا؛ فلجؤوا إلى القناعة يروضون أنفسهم عليها...وقوما عافت نفوسهم ما رأت من شهوات لا حد لها، ورأوا أن النفس إذا نالت ما طمحت، تفتحت أمامها شهوات وشهوات، وللوصول إلى كل شهوة متاعب وعقبات؛ ففضلوا أن يقمعوها"[1]، وبالمقابل كانت موجة الزهد تقف محايدة تجاه الدولة، "وكأن قوما انصرفوا عن الفتن؛ خشية على أنفسهم من التورط في الإثم، إلى النسك والعبادة، كما انصرف إلى ذلك كثيرون ممن لم يستطيعوا الانتصار على الأمويين"[2].

---

[1] أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**. ج1/ ص 132–133.

[2] ضيف، شوقي. **العصر الإسلامي**. ص370.

تبدلت القيم وتغيرت، بعد انتقال السلطة إلى بني أمية، إذ برز الأثر الأجنبي والموالي خاصة – الشعوبية – بشكل واضح فقد كانت الحياة السياسية والاجتماعية مواتية للفرس، فجهروا بشعوبيتهم[3]، وحاول بعضهم إضعاف الإسلام، "إذ أخذت تدخل في ثنايا هذا الزهد تأثيرات مسيحية وغير مسيحية، بحكم ما دخل في الإسلام من الموالي والشعوب الأجنبية"[4]. ومن الطبيعي أن يتأثر الشعراء بهذا الواقع؛ فالصلة بين الشاعر وعصره وثيقة، فهو يعي قضايا مجتمعه ومشكلاته، وبخاصة أن التمرد حالة نفسية واجتماعية يلجأ إليها الشاعر؛لأسباب كثيرة داخلية وخارجية. وغالبا " ما تلجأ الشخصيات المؤهلة ذات النوازع الفردية؛ لإظهار اغترابها عن هذا النظام– السلطة الحاكمة– بطريقتين، إما بالتميز وأخذ فرص الاستحقاق بالقوة كالنبوغ في الشعر أو البطولة أوالفروسية، وإما بالتمرد والسلوك العدواني كالصعاليك"[5]. وفي كل مجتمع يوجد أفراد يشعرون بتفردهم وتميز شخصيتهم وبالعجز عن التجاوب مع الأوضاع العامة السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه والثقافة التي يفترض أنهم ينتمون إليها ويرفضون القيم العامة التي تسود هذه الثقافات التي يتقبلها بقية أفراد المجتمع[6]. والشعور بالاغتراب داخل المجتمع يؤدي إلى التمرد الاجتماعي أو السياسي أو الديني" وهذا الاغتراب يمثل في الشعور بعدم التكافل الاجتماعي أو الشعور بالاغتراب عن الآخرين"[7]، وما نقصده بالتمرد هنا، هو عدم انسجام الفرد مع واقعه؛ لأسباب كثيرة، داخلية وخارجية فرضتها طبيعة ذلك العصر.

التمرد الاجتماعي:

يتمثل التمرد الاجتماعي في البعد عن القيم والتقاليد الاجتماعية في العصر الأموي، بعد أن تغيرت بعض المفاهيم والأعراف عند الشعراء وغيرهم. لذلك كان المتمردون غالباً ما ينضمون للأحزاب الثائرة المناهضة للدولة، ولم يظهر التمرد في الشعر الأموي بشكل جماعي إلا عند الصعاليك، أما غير ذلك فهو تصرف فردي، يسعى كل منهم لتحقيق طموحات وأهداف خاصه.

---

[3] الحوفي، أحمد: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص152.

[4] ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ص371.

[5] السويدي، فاطمة: الاغتراب في الشعر الأموي، ص100.

[6] أبو زيد، أحمد، الاغتراب، ص10.

[7] الجرموزي، أحمد، الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية، ص39.

ومن مظاهر الخروج عن عادات المجتمع وتقاليده ما يقوله الوليد بن يزيد عن الخمرة والقيان، يقول:

ذَرُوا لِي سَلْمَى والطّلاء وَقَيْنَة　　　وَكَأساً ألا حَسْبي بذَلِك مَالاً[8]

أحب الوليد اللذة وكلف بها، وأعانته ظروف خاصة، فأخذ منها بحظ موفور دون أن يخرجه ذلك عن دينه أو يتجاوز به حدود ما ينبغي للخلفاء في عصره، فلم يكن مسرفا في اللهو والفجور إلى غير حد، كما أنه لم يكن تقيا صالحا، ولكنه كان شقيا سيئ الحظ، جنت عليه ظروف السياسة التي عاش فيها أكثر مما جني عليه لهوه ومجونه[9]، يقول الوليد بن يزيد:

إنَّ الـتي زَعمَـتْ فُـؤادَكَ مَلَّهـا　　　خُلِقتْ هواكَ كما خلقتَ هوىً لَهَا
فِيكَ الذي زعمتْ بها وكلاكما　　　يُبْـدِي لصَـاحِبِهِ الصّـبابة كلـهَا
ويَبِيت بـينَ جـوانحي حُـبٌّ لهـا　　　لـو كـانَ تحـتَ فِراشِـها لأقَلَّـهَا
ولَعَمرُهـا لـو كـانَ حُبُّـكَ فَوقَهـا　　　يومـاً وقـد ضَـحيتْ إذاً لأظلَّهَـا
وإذا وَجَـدْتَ لهـا وَسـاوِسَ سَـلْوَةٍ　　　شَـفعَ الضـميرُ إلى الفـؤادِ فَسَـلَّهَا
بَيْضـاءُ بَاكَرَهَـا النّعـيمُ فَصَـاغَها　　　بلباقَـةٍ فأدَقَّهـا وأجَلـهَا
لَّمَـا عَرَضْـتُ مُسَـلِّماً لِـيَ حاجَـةٌ　　　مَـا كَـانَ أكثرهـا لَنـا وَأقلَّهَـا
فَـدَنا فقـالَ: لَعَلَّهـا مَعـذُورَةٌ　　　من أجْلِ رِقْبتهـا فَقُلتُ لَعلَّهَا[10]

إن من أسباب التمرد بشكل عام، هو عدم التوافق الفكري والنفسي للشاعر مع مجتمعه، والجو المثالي الذي يريده الشخص — الوليد –، وبخاصة أنه من عِلْيَة القوم فجاء هذا الشرخ بين ذات الشاعر وبيئته الاجتماعية ففقدت شخصية الشاعر مقومات التواصل والوئام، وجاءت الألفاظ تدلل على ذلك وتكشف عن رؤى الشاعر، هذه الرؤى التي تصطدم بواقعه الخارجي، إذ استخدم ألفاظاً تتصل بعالمه الخاص والذي يحاول خلقه لنفسه من خلال: المحبوبة — الخمر – الكأس.

---

[8] ديوانه: 92.

[9] حسين، طه: حديث الأربعاء: ج2 ص 140.

[10] ديوانه: 70– 71.

إن التمرد الاجتماعي موقف من المجتمع وما يريده ذلك المجتمع، لذلك راح الشعراء يدافعون عن هذا الموقف. فقد سكر الأقيشر يوما وسقط فبدت عورته وامرأته تنظر إليه، وأقبلت عليه تلومه بقولها: أما تستحي يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة، فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول:

تَقــولُ: يَــا شَــيخُ أمــا تَسْــتَحِي مِـن شُـربكَ الخمـرَ عَلـى المَكبَـرِ
فَـقـلـتُ: لَو بَاكـرتِ مَـشْـمُـولةً صَــهبا كَلَــونِ الفــرَسِ الأشــقرِ
رُحـــتِ وَفِـــي رِجلَيـــكِ عُقّالّـــةٌ وَقَــد بَــدَا هَنْــكِ مِــن المِئــزَرِ[11]

لذلك رفض الشاعرالفكر السائد والمتداول اجتماعيا الذي جاء على لسان زوجته، ولذا جاءت أداة النداء (يا)، متبوعة بأداة التنبيه (أما)؛ لتجسد موقف الرفض والتمرد، فلم يعد الشاعر يقبل ما يقوله مجتمعه، فقد تجاهل الرد على قول زوجته، فتمنى بـ (لو)؛ كي يضاعف ردة الفعل بين ما يريد هو وما يريد المجتمع وجاء الحوار بينه وبينها ليدلل على أن القضية بين مد وجزر في المجتمع الأموي، وتؤكد حالة الرفض مع الإتيان بالحجة على هذا الرفض والدفاع عن رغبات الذات. يرجع السبب الرئيس في التمرد الاجتماعي إلى عدم التوازن في الجانبين السياسي والاقتصادي في العصر الأموي، واحتكار بعض أولي الأمر لمقدرات الأمة وخيراتها. إذ فقدت بعض المعايير، مما أدى إلى "لجوء الفرد إلى أساليب غير مشروعة وغير موافق عليها اجتماعيا؛ لتحقيق أهدافه "[12].

أصاب المجتمع الأموي شيء من الاختلال، وهذه من سلبياته، على الرغم من الإيجابيات الكثيرة – والتي ليس من أهداف هذا البحث ذكرها والحديث عنها التزاما بحدود الدراسة وإطارها – التي ميزت هذا العصر، لكننا نلاحظ أن الاختلال الاجتماعي أدى إلى ثورة اجتماعية أو يمكن أن نسميها " تمرد"، بعد أن أصبحت سمة عامة تميزه. إذ راح بعض الناس يستسيغون

---

[11] ديوانه: 77 – 78.

[12] الجرموزي، أحمد: الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية، رسالة دكتوراه، مخطوطة، جامعة القاهرة، 1992، ص 39–40.

هذه العادات والسلوك اجتماعيا ويألفونها، حتى فقيه المدينة عروة بن أذينة، وهو من النساك والفقهاء، راح يألفها ويسير في ركابها، يقول:

إلفــانِ يعنيهُمَــا للبَــيْنِ فُرْقَتُــه	ولا يَمَلاَّن طُولَ الدَّهْرِ ما اجتمعَـا
مستقبلان نشاصاً من شبابهما	إذا دَعــا داعــي الهــوى سَــمِعا
لا يُعْجَبانِ بقولِ الناسِ عن عُرُضٍ	ويُعجبانِ بمـا قـالا ومـا سَـمِعا[13]

وهذا ما رآه شوقي ضيف في حديثه عن الوليد بن يزيدفي قوله " ودائما حين تغرق الأمم في الترف، يتورط كثير من أبنائها في آثام مختلفة من اللهو والمجون"[14]، ثم وصف الوليد بقوله: "كان ماجنا يعكف على الخمر والغناء ويعيش للهو والصيد والقنص حتى بعد خلافته، فقد ظل في الجو الماجن الذي كان يتنفسه قبل اعتلائه عرش الخلافة... ومضى يجلب إليه المغنين والمغنيات وآلات الطرب لا من الحجاز فقط، بل أيضا من خراسان"[15]. وشعر الوليد يتمثل في جزء منه حالة يرى فيها الشاعر يخاطب آخرين، ويتوقع منهم الاستجابة والحوار، أو الفعل من نوع ما. فهو في حوار داخلي مع نفسه، إذ يخاطب نفسه متسائلا متشاكيا متأملاً، ثم يعود إلى موضوعه الذي هو على الأغلب خطابي، وصيغه المتكلم تتحول بسهوله من "أنا" المفرد إلى "نحن" الجمع[16]. فقد ضاق بعض الشعراء ذرعا ببعض الشرائح الاجتماعية التي تهتم بالأنماط الاجتماعية التقليدية، فراحوا يتمردون عليها رافضين أساليبها ورافضين دور المجتمع — أحيانا – في العلاقة بين الشاعر ومحبوبته، ورأوا بأنه لا بد من كسر هذه القوالب الاجتماعية، قال عروة بن أذينة:

عَلقُتُــكِ ناشِــئاً حتَّــى	رأيــتِ الــرَّأسَ مبْيضــا
على يسْرٍ وإعْسارِ	وفَــيض نَــوالِكم فَيضــا
ألا أحْبِــبْ بــأرضٍ كنــ	ــتِ تَحْتَلِّينهــا أَرضــا

[13] ديوانه: 57، وينظر الصفحات: 56، 65، 67، 70، 72، 74، 75، 88، 115.

[14] ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ص376.

[15] ينظر السابق، ص381.

[16] ينظر جبرا، إبراهيم: الرحلة الثامنة، دراسات نقدية، ص46–47.

وأهلُـك حبَّــذا مــا هُــمْ   وإنْ أبْـدَوا لِـيَ البُغْضَـا[17]

ليس الهدف من الشعر الصورة، بل معرفه العالم والعلاقات التي تربط بين الناس ومعرفه الذات وتطور الشخصية الإنسانية. فقافية الضاد هنا توحي بزخم التجربة وتدل دلالة طبيعية على التضجر "وتحمل دلالة أخرى، وهي الاستخفاف والاستقذار"[18]. اصطدم الوعي الفردي بالقيم الاجتماعية وهذا ديدن معظم الشعراء، فالشاعر يشاهد الواقع حوله بمنظاره الذاتي، بتركيز أكثر من المنظار الاجتماعي؛ فهو يسقط الكثير من اعتباراته وكذلك يؤكد رؤاه ويصب عليها اهتمامه. وهو في موقفه هذا يكوّن صياغة جديدة تتناسب ومزاجه الخاص وهذا مظهر جديد من مظاهر التحلل الاجتماعي، بل قد يوصف بأنه أثر من آثار التحضر والاستغراق في المدنية، يشير إلى أن ذوق العصر قد تغير، وأن أشياء كانت تثير الانفعال لدى الإنسان العربي من قبل؛ لم تعد لها الآثار نفسها لدى قطاع عريض من أهل مدن العصرالأموي، يقول الأقيشر:

إنْ كَانت الخَمرُ قد عَزتْ وَقَد مُنِعت   وَحَالَ من دونِها الإسلامُ والحَـرجُ
فَقد أباكِرُها صرفاً وأَشربُها   أَشـفِي بهـا غُلـتي صـرفا وأَمتـزجُ
وَقــد تَقــومُ علــى رأســي مُغنيّــةٌ   لهـا إذا رجعـت في صـوتِها غُـنجُ
وترفـعُ الصـوتَ أحيانـاً وتخفضـهُ   كما يَطِنُّ ذبابُ الروضة الهَـزِجُ[19]

وما هذا إلا وعي الفرد بالصراع القائم بين الذات والبيئة المحيطة بها، بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء وتزايد القلق[20]، وهذا ما عبر عنه طريح بن إسماعيل الثقفي في قوله:

مَـالِـي أُحَـلا عَن حِيَـاضِـكَ مُفْـرَداً   يَـرِدُ الظِّـمَـاءُ فَيَـشـرَبُونَ وأُقرَعُ[21]

هذه حالة نفسية فزعة وقلقة عند الشاعر، لذا كانت ردة فعله صريحة وقوية في الوقت ذاته. ولعلنا نجد تفسير مثل هذه الحالة في علم النفس، إذ جاء فيه "... وكثيراً ما تقف البيئة في

---

[17] ديوانه: 56. وينظر ديوانه الصفحات: ص11، 12، 13، 32، 33، 44، 45، 47، 72.

[18] كشاش، محمد: اللغة والحواس، ص144.

[19] ديوانه: 58–59، وينظر، ص: 79، 80.

[20] ينظر الجرموزي: الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية، ص25.

[21] شعره: ص94.

سبيل إشباع دوافع الفرد، فتشعر الذات بالتهديد والخطر ويتكون دافع الخوف الذي إذا زاد على مستوى قدرة الاحتمال يتحول إلى قلق يسيطر على سلوكه وشخصيته عامة"[22]. وهذا القلق هو الذي دفع يزيد بن الوليد لممارسة كثير من الأمور الغريبة التي لا تليق بخليفة. أورد محقق ديوان يزيد عن الأصفهاني قوله " مات قرد ليزيد كان يقال له: "أبا قيس"، فحزن عليه، وأمر بدفنه بعد أن كفنه، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه، وأنشأ يقول:

لَم يبقَ قَرمٌ كريمٌ ذو محافظة إلا أتانا يُعزّي في أبي قيسِ
شيخُ العشيرةِ أمضاها وأحملها له المساعي مع القربوس والدّيسِ
لا يبعِدِ اللهُ قبراً أنت ساكنهُ فيه الجمالُ وفيه لحيةُ

وهو القائل:

وشمسةُ كرمٍ بُرجُها قَعرُ دَنِّها وَمَطلَعُها السَّاقي ومَغرِبُها فمي
نُشيرُ إليها بالأكفِّ كأنَّما نُشيرُ إلى البيتِ العتيقِ المُحَرَّمِ
إذا بُزلت من دَنِّها في إنائها حَكَت نَثراً من الحطيمِ وزَمزَمِ
فإن حُرِّمت يوماً على دين أحمدٍ فَخذها على دين المسيح بن مريمِ
مُدامٌ كَتبرٍ في إناءِ كَفضةٍ وساقٍ كبدرٍ مع ندامَى كَأَنجمِ[24]

ومثله فعل حارثة بن بدر الغداني في شربه للخمر، وعندما لامه أحد أصدقائه على إفراطه في شربه لها، قائلا له:"لقد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك"[25]، لم يزده ذلك إلا تمردا وانغماسا فيها، فقال:

سَأشرَبُهَا صَهبَاءَ كَالمِسكِ رِيحُهَا وَأشرَبُهَا فِي كُلِّ نَادٍ وَمَشهَدِ[26]

ولم يبتعد سلوك الأقيشرعنه في قوله:

[22] الرباعي، عبدالقادر: عرار" الرؤيا والفن "، ص108.
[23] ديوانه: 45.
[24] ديوانه: 65.
[25] الأصفهاني، الأغاني، 8ج ص 421.
[26] ديوانه: ص 34، وينظر ص 349، 351، 352، 353.

قـد سَـقيتُ الكـأسَ حتـى هَرّهـا   لم يُخـالط صَـفوَها منـهُ كَـدرْ
قلـتُ: قـم صـلّ، فصـلى قاعـداً   يتغشـاهُ سمـاديرُ السَّـكرْ
قَـرنَ الظهـرَ مَـعَ العَصـرِ كَمـا   تُقـرنُ الحِقّـةُ بـالحق الـذّكرْ
تـركَ الطُّـورَ فلـم يقـرأ بهـا   وقرا الكـوثرَ مـن بـين السُّورْ[27]

إن دور القافية (حرف الراء) فيه نوع من التكرار، يدل على الاستمرارية، وهي استمرارية الفعل، مع ملاحظة التوارد النغمي لتشديد الحرف السابق لحرف القافية في معظم الأبيات. فهذا تمرد واضح على حياة المجون التي كانت منتشرة في المجتمع الأموي، ومن الجلي أن الشاعر اعتمد على المنطق الصريح والمباشر بقصد الإفهام، فساق الدليل والبرهان بهدف الإقناع.

يعد حارثة بن بدر الغداني من أبرز الشعراء الذين ظهر عندهم التمرد، وجمع فيه بين الجرأة والعلانية. ذكر محقق ديوان حارثة عن الأصفهاني قوله "... لامه الأحنف بن قيس على الإفراط في شربه للخمر وجادله في ذلك فرد عليه:

وَكَـم لائِـمٍ فِـي الشَّـرابِ زَجَرتُـهُ   فَقلـتُ لَـهُ دَعـني وَمَـا أَنَـا شَـارَبُ
فَلستُ عن الصَّهباءِ مَا عِشتُ مُقصِراً   وَإن لامَنِـي فِيهَـا اللّئَـامُ الأشَـائبُ
أأتـرُكُ لـذّاتي وَآتـي هَـواكُم   ألا لَيَس مِثلِي يَا بنَ قَيس يُخَالِبُ"[28]

فشعره لا ينطق بالتمرد فحسب، وإنما بالاستهتار أيضا، فيخرج فيه عن عادات المجتمع وتقاليده؛ بسبب طبيعة الحياة الاجتماعية التي مال إليها الشاعر، فتركت أثراً في حياته، لكن الإصرار والدفاع عن الملذات بهذه الصورة أحدث دهشة وغرابة، من خلال هذا الأسلوب اللغوي؛ مما يستفز وعي القارئ ويصدم نفسيته ويسبب خلخلة في توقعاته وانتهاكا لحدود معرفته وذوقه الذي ألف استخدامات منطقية وواقعية للغة، مما أدى إلى إهدار دمه؛ لتماديه بالخروج على الدين والمجتمع واستهتاره بهما وبقيمهما[29].

---

[27] ديوانه: 82. وينظر الصفحات: ص48، 49، 59، 65، 68، 69، 86، 99.

[28] ديوانه: 338–339.

[29] ينظر الأصفهاني، الأغاني: ج8/ ص395، وينظرفي إصراره على شرب الخمرة، ديوانه الصفحات: 338–339، 341، 349، 352، 353، 355.

أكثر الشعراء النصارى من الخمرة وركزوا عليها، وعلى رأسهم الأخطل، ولم يكن لها حضور بارز وافتتان بها عند معظم الشعراء، أما ما يجده الدارس في شعر الوليد بن يزيد مثلا، فالأمر مختلف، فأشعار الخمر عنده لم توضع في ثنايا القصيدة أو مقدمتها كما هو الأمر عند غيره، بل أصبحت تنظم في مقطوعات لها وحدتها الموضوعية والمعنوية، تنبض بالحياة وتخفق بالجذل والسرور، لسبب طبيعي، هو أن ناظمها عاشق للخمر، وهو ينظمها في غمرة عشقه، وكأنما تفجر له ينابيع الفرح تفجيرا[30]، وهو القائل:

أَلا فَاملَ لي كَاسَاتِ خَمْرٍ وغَنِّ لِي ... بـذكرِ سُـليمى والرَّبـاب وتنعَّـــمِ
وإيَّـاكَ ذكــرَ الـعـامـريَّـةِ إنّـنـــي ... أغــارُ عليهــا مــن فــمِ الُمتكلِّـــمِ
أغارُ على أعطافِهـا مـن ثـيـابـهـا ... إذا أُلـبسَـتها فـوقَ جسـمٍ مُنَعَّـــمِ
وأحسـدُ كاسـاتٍ تُقـبلُ ثـغـرهـا ... إذا وضعتها موضِعَ اللَّثمِ في الفمِ[31]

ويدافع طه حسين عنه بقوله: "وإضافة الشعر المملوء كفرا وفجورا إليه، يجب أن نحتاط له، فكثير منه متكلف منحول، فقد اختلف فيه القدماء اختلافا عظيما، وأكثرهم كانوا يتقربون إلى بني العباس وإلى عامة الناس، بالطعن فيه والنعي عليه، وليس أحرص من أصحاب السلطان والعامة، على أن تكون هناك ضحايا بريئة أو غير بريئة"[32]. وأنا أتفق مع ما ذهب إليه طه حسين، وبخاصة أن ما وصلنا من كتب دونت أدب ذلك العصر، كان زمن العباسيين الذين أقاموا دولتهم على أنقاض دولة بني أمية.

لقد ظهر التمرد الاجتماعي في العصر الأموي بشكل لافت للنظر، وقد بدا واضحا من خلال معاقرتهم للخمرة وارتياد دور الغناء وإصرارهم عليها، وإن اختلفت درجته من مكان إلى آخر. فخراسان والمناطق البعيدة عن الدولة كانت تزخر بهذه الأمور، ربما لأنهم أرادوا أن يبعدوا أنفسهم عن آلام الغربة والحنين إلى الوطن وعناء الحروب وأثقالها، فذهبوا إلى الإمعان في المجون والتحرر من عادات المجتمع وتقاليده. ومن أبرز الشعراء المسلمين الذين أصروا على شرب الخمرة

[30] ينظر ضيف، شوقي: العصر الإسلامي، ص 382

[31] ديوانه: 65.

[32] ينظر: حسين، طه، حديث الأربعاء ج2 ص 139.

وانكبوا عليها في العصر الأموي: معاوية بن أرطاة[33] وعبد الرحمن بن الحكم[34] وابن ميادة[35] وسحيم بن وثيل الرياحي[36] وحارثة بن بدر الغداني.

التمرد السياسي:

امتاز العصر الأموي بالفوضى السياسية، إن جاز لنا التعبير، فكل حزب يزعم أنه أحق بالخلافة، وهذا أدى إلى حروب طاحنة دارت رحاها في العراق وشبه جزيرة العرب، فراحت الدولة الأموية تبطش بمن لا يعترف بشرعيتها من بقية الأحزاب، وكذلك فعلت الأحزاب الأخرى مع الدولة، إذ قابلتها عداء بعداء، وهذا الفكر السياسي المتمرد جاء على ألسنة الشعراء الذين يعدون الناطقين الرسميين باسم أحزابهم، يقول الأحوص متحديا أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم – والي المدينة –:

لَعَمري لَقد أَجرَى ابنُ حَزْم بن فرتني إلى غـايـةٍ فيـهـا الشـمـامُ المُـثَـمّـلُ

وَقد قلتُ مَهـلاً آلَ حزمٍ بـن فـرتنـي فَـفِـي ظُـلـمِـنـا صابٌ ممـرٌّ وحنظـلُ[37]

والمتمرد سياسياً ارتضى لنفسه أن يكون الأداة التي تستطيع أن تأخذ المبادرة للكشف عما يريد بعض الناس في المجتمع، فوجد في نفسه قدرة على عرض الفكرة وبسطاً لحديث المواجهة الصريحة وكشفاً عن الجوانب السلبية التي ازدحمت بها أحداث عصره. وكذلك أخذ على نفسه تحمل المسؤولية في بناء المجتمع وتطور أحداثه ورصد سلبياته، لذلك إن أي ثورة كانت تحدث، كان حزب الشيعة وغيره من الأحزاب المعارضة ينضمون إليها، حتى لو كانت لا توافق فكرهم ومذهبهم، فأبو دهبل الجمحي يمدح عبد الله بن الزبير، لا حباً فيه وفي فكره، ولكن لأنه ضد آل البيت وضد السلطة الأموية، ولكن عندما وقف ابن الزبير ضد السلطة الأموية، أصبح أبو

[33] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج2 ص 242.

[34] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج 13 ص 259.

[35] ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء ج2 ص747.

[36] ينظر، السابق، ج2 ص 626.

[37] ديوانه: 161.

دهبل من شيعته وأنصاره فمدحه ورثى أصحابه[38]، ونتيجة لهذه التقلبات السياسية المتتابعة، تمرد يزيد بن المهلب وقائد جيشه وشاعره ثابت قطنة بعد أن حرض القبائل العربية جنوب العراق وضمن انحيازها له، فثار ثورة عسكرية ضد السلطة الأموية فأقلقها وقلل من هيبتها وسطر شاعره ثابت قطنة هذا الموقف شعراً[39]، فقال في رثاء ابن المهلب متحديًا:

لا خَيرَ فِي العيشِ إن لَم أَجنِ بَعدَهَم حَرباً تَبيىء بهم قَتلِي فَيشفُونِي[40]

إن التمرد السياسي الذي ظهر في العصر الأموي على السلطة من المعارضة ومن غيرها، لم يكن بسبب الصراع على السلطة فقط، وإنما برز لأسباب أخرى يأتي في مقدمتها سياسة بني أمية غير المتوازنة، فولّد نوعا من النقمة والرغبة في الانتقام من هذه الدولة وأُلي الأمر فيها، وهذا ما حصل مع عبدالرحمن بن الأشعث، إذ لم يتردد الناس في الانضمام إليه في ثورته ضد الأمويين.فمن خلال الصراع الفكري المتبادل بين المعارضة والسلطة الحاكمة، وجد التمرد مناخا جيدا للنمو والظهور، فاختفت لغة الحزن والإحساس بالشقاء؛ ليكون التحدي هو البديل، بعد أن انعدمت عوامل الشعور بالانتماء لهذا المجتمع وحلت بدلا منه محاولات التغيير بالقوة وتحت التهديد، وكان هذا سببا في زيادة شعور الخوارج – المعارضة – بالانسلاخ والاقتلاع من القبيلة على النطاق الضيق، ومن الدولة على النطاق الأوسع، ومن هنا كانت العلاقة البديلة هي حالة التمرد والتحدي ومحاولة التغيير القسري، يقول أحد الخوارج:

نُقَاتِلكُم كَي تلزَمـوا الحقَّ وَحْـدَهُ ونـضـربكم حَتّـى يكونَ لنَـا الحـكمُ
فإنْ تبتغوا حُكْمَ الإلهِ نَكُنْ لَـكُـم إذا ما اصطلحنا الحقّ والأمن والسلمُ
وإلا... فإنّ المـشرفـيَّـة مـحـذم بأيـدِي رجـالٍ فـيهـم الدِّين والعِلمُ[41]

فالمقاومة المسلحة هي الطريق للتغيير السياسي الذي خرج عن الطريق الصحيح عند الخوارج، وهذه المبادئ أصّلها عبد الله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج الأول، ولم يجهد الخارجي نفسه

---

[38] ينظر ديوانه، ص 103.

[39] ينظر ديوانه، ص 49.

[40] ديوانه: ص 65. وينظر الصفحات: 41–42، 58، 60.

[41] معروف، نايف: ديوان الخوارج، ص78.

بإقناع الرافضين له بحجة، بل كانت الانفعالات هي الموجه الأساسي لهم والقوة هي الطريقة المؤثرة كما يرون، فحبيب بن خدرة الهلالي – أحد خطباء الخوارج وعلمائهم – يدعو إلى الخروج على بني أمية وتحدي سلطانهم:

يـا ربّ إنّهـمُ عَصَـوْكَ وحكَمَّـوا في الـدِّين كـلَّ مُعلَـن جبَّـارِ
يَدعُو إِلَى سُبلِ الضّلالَةِ وَالـرّدَى وَالحقّ أبلَجُ مِثـلَ ضَوْءُ نَهَـارِ[42]

وقصة الأربعين خارجيا مع الألفي جندي من الجيش الأموي وانتصارهم عليهم، قصة مشهورة ومعروفة تاريخيا، وكانت هذه القصة تمدهم بزاد نفسي هائل في تحديهم وتمردهم، يقول حارثة بن صخر القيني:

تمنّانَـا ليلقانـا زيـاد سَـفاهاً والمُنـى طُـرُقُ الضـلالِ
فقلنـا: يـا زيـاد دع الهُوَينَـا وشمِّـر لا أبـا لـك للقِتـالِ
فإنـا لا نفـرُّ مِـنَ المَنايـا ولا ننحـاش مـن ضـرب النِصَالِ
ولكنّـا نقـيمُ لكـم طِعـاناً وضَرْباً يختلي هـامَ الرجـالِ[43]

ومن أبرز المواقف تحديا وتمردا على سلطة بني أمية، موقف غزالة، زوج شبيب الصحاري ودخولها الكوفة يحيط بها رجال المقاومة الخارجية في تحد واضح وجريء للحجاج. إذ صلَّت في مسجد الكوفة ركعتين قرأت فيهما البقرة وآل عمران؛ وفاء لنذرها، والحجاج متحصن بدار الإمارة لم يتعرض لها[44]. والبهلول بن البشير الشيباني تحدى السلطة العسكرية الأموية وتمرد عليها في ولاية خالد بن عبد الله القسري، لا يأبه بالموت والحذار منه إيمانا بمبادئ مذهبهم، يقول:

مَـنْ كـانَ يكـرهُ أن يَلقْـىَ منيَّتَـهُ فالموتُ أَشْـهَى إلى قلبـي مِـنَ العَسَـلِ
فلا التَقَـدّمُ في الهَيْجـاء يَجعلـني ولا الحِذارُ يُنَجّيني مِنَ الأَجَـلِ[45]

---

[42] ديوان الخوارج: ص 16.
[43] ديوان الخوارج: ص40.
[44] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3 ص 594.
[45] ديوان الخوارج، ص32.

ويقول أبو الوازع الراسبي، وهو من الخوارج:

فَجَاهِدْ أُناسَاً حَارَبوا اللهَ واصطبر عَسَى الله أن يَخزي غويّ بني حربِ[46]

ويقول آخر من الخوارج:

وأقسِمُ لَو أَدركْتَهُ إذ طَلَبْتهُ لَقَامَ عليهِ مِن فَزارة مَأْتَمِ[47]

والتمرد على نظام الدولة وسياستها نجده بشكل واضح عند بعض الشعراء الصعاليك، فالعلاقة بين هؤلاء الأشخاص والسلطة علاقة غير ودية؛لأنهم خارجون على نظام الدولة متمردون على ولاتها وعمالها، وقد انعكس هذا التمرد في بعض مقطوعاتهم الشعرية، يقول القتال الكلابي:

إنــي لَعَمــرُ أبــيهم لا أُصــالِحُهم حَتّى يُصالحَ رَاعي الثلـة الـذيبُ
أو تَنْجَلي الخَيلُ عَن قَتلى مُصرّعةٍ كَأَنَّها خَشـبٌ بالقـاعِ مقطـوبُ[48]

وهنا يرتبط المعنى البطولي بالمعنى الفكري، وقد يتغلب الجانب الفكري في تحديد الاطار العام لمعنى البطل؛ لأنها بطولة لإنسانية واضحة، تمثلها بعض جوانب المجتمع آنذاك وتلمسها وجدانه وإدراك فاعليتها في استثارة الإعجاب والدهشة. وقد ساهمت البيئة في تقوية هذا المفهوم وتعميق وجوده في النفس، فالتضحية عند البطل قيمة إنسانية معروفة؛ لإيمان القَتّال ومن معه بالدافع الحقيقي الذي يختفي وراء التضحية. يقول العديل بن الفرخ العجلي متوعدا الحجاج بعد أن هدم داره وأحرق بيته وسلب امرأته وبناته حليهن:

سَأغسِل عَنّي العَارَ بالسيفِ جَالباً عَليّ قضاُء اللهِ مَا كَان جَالبَا[49]

وتمرد عبيد الله بن قيس الرقيات على الأمويين وبلغ تمرده هذا ذروته عندما دعا للثورة والثأر منهم؛ بسبب ما فعلوه بآل البيت:

---

[46] ديوان الخوارج، ص69.

[47] ديوان الخوارج، ص 77.

[48] ديوانه: ص 32.

[49] المرصفي: أسرار الحماسة، ص12

كَيفَ نَوَمي عَلَى الفِراش ولَمّا يَشْمل الشامَ غارةٌ شعواءُ
تُذْهِلُ الشيخَ عن بَنيهِ وتُبدِي عَنْ بُرَاها العقيلةُ العذراءُ
أنا عنكُمْ بني أُميةَ مزورٌ وَأنتُم فِي نَفْسِي الأعداءُ[50]

فقد استدعت كثافة المعاناة –ولو فنياً– جمالية تشابكت مع خصوبة الأحاسيس الناتجة عن التجربة الشعرية عند عبيد الله بن قيس الرقيات؛ فوظف الشاعر خطاباً قوياً، يتكئ على بنية المبالغة؛ لأداء فعله التأثيري" ومن ثمّ اعتناقه للعقيدة الزبيرية اعتناقا مخلصا، وهو اعتناق يشوبه الحقد على بني أمية والرغبة الشديدة في أن ينقض حكمهم[51]. وقد استخدم ابن الرقيات أسلوبا خاصا للنيل من بعض خلفاء بني أمية وبعض ولاتهم، إذ لجأ إلى الغزل بنساء الأمويين، وهو ما أطلق عليه الغزل السياسي، وربما عجزه في تحقيق الانتصارعلى بني أمية، جعله يلجأ إلى هذا الأسلوب، فظاهره غزل وباطنه سياسة، يريد الانتقاص من الدولة الأموية ومن هيبتها[52]. وعمد بعضهم إلى القوة والبطش في تغيير مسار الواقع السياسي، يقول مالك بن الريب:

مَن لا يَنَامُ الليلَ إلا وَسيفُهُ رَهينةُ أقوامٍ سِرَاعٍ إلى الشعبِ[53]

وماذا يفعل الشخص المتشرد إذا وصل العداء بينه وبين الحاكم ذروته، ماذا نتوقع منه إلا مزيداً من الصلابة والنقمة والتمرد، يقول العديل بن الفرخ العِجْلِي – وتنسب لغيره – بعد أن هدمت داره متوعداً:

فإنْ تهدِموا دَاري بالغدرِ فإنها تراثُ كريمٍ لا يبالي العَواقبَا
وَأذهل عن داري وأجعلُ هدمَها لِعرضِي مِن باقي المذمّة حاجبَا
وَيَصْغَر فِي عيني تلادِي إذا انثَنتْ يَميني بإدراك الذي كُنتُ طالبَا[54]

---

[50] ديوانه: 95–96.

[51] ينظر ضيف: العصر الإسلامي، ص 295.

[52] ينظر ديوانه، ص 4، 41، 52.

[53] ديوانه، ص 71.

[54] أسرار الحماسة، ص12.

لقد كان تحديه واضحا وموقفه حادا في مواجهة السلطة، مع اعتقاد فكري ملتزم، إذ استخدم الشاعر في النص عبارات توحي بالتمرد والتحدي، مثل: "لا يبالي العواقبا — ويصغر في عيني تلادي". من الواضح أن الجمل الشرطية قد ضاعفت من مساحه النص وفتحته على مصراعيه، وكأن الشاعر أراد أن يرسم قاعدة ثابته لنفسه – أو للآخرين –؛ لإتباعها، والمحافظة عليها. فيبدو أن الالتزام الفكري المذهبي والعقدي وعدم سيطرة السلطة سياسيا على امتدادها الواسع، دفع الشعراء إلى التمرد السياسي من هذين المنطلقين. ونلاحظ التمرد أيضا عند الكميت، شاعر الهاشميين الذي طبع على حب بني هاشم، وأن تحب الهاشميين في زمن سيطرت فيه بنو أمية فهذا جهاد، وأن تجهر به فهذا جهاد أعظم، وأن تذيعه شعرا، فهو الجهاد الأعظم، وهذا ما فعله الكميت، يقول:

بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النّبِـيّ فَإنّنِـي   بهِم وَلَهُم أرضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ[55]

ويقول في بني أمية:

وَكُنتُ لَهُـم مِـن هَـؤلاك وَهَؤلا   مِجَـنّـا عَلَـى أَنّـي أُذَم وَأُقْـصَـبُ[56]

واستخدام الضمير هنا "هم"، بمعنى أي قوم كانوا، وبذلك يخرج نفسه من دائرة العداء الشخصي للأمويين، فهو لا يقصدهم كقوم، وإنما يقصدهم لموقعهم الذي وضعوا أنفسهم فيه من اغتصاب الخلافة، وكأن القصة قد أصبحت عنده ذات طرفين، طرفها الأول: بنو هاشم وطرفها الثاني "هم"، وهذا ما يعرف بالتقية عند الشيعة، يقول القتال الكلابي في المعنى نفسه:

رددتُ عَلى المكرُوهِ نَفساً شَريسَةً   إذا وطّنـت لَم تـستـعد للتـذللِ[57]

ويقول ابن الحرّ متمردا على النظام السائد:

يُخـَـوفني بالقتــلِ قَــومِي وإنّمـا   أَمـــوتُ إذَا جــاء الكتــابُ المؤجـلُ

[55] ديوانه، ص 46، وينظر الصفحات: 48، 50، 51، 53، 59، 67.

[56] ديوانه: 47، قوله لهم: أي لبني هاشم، من هؤلاك: يعني الحرورية، هؤلا: يعني المرجئة.

[57] ديوانه: 73.

وإنكَ إنْ لا تركبُ الهولَ ولا تنلْ مِن المالِ مَا يَكفِي الصّديق ويفضُلُ[58]

جاءت الدوافع إلى التغيير، بسبب الإيمان بالقدر المؤجل، الذي كتب عليهم وحدد لهم. وقد دفعهم هذا الإيمان إلى خوض الحرب بلا خوف ومصارعة الطغيان بلا هوادة ونشدان الحرية بلا ملل والتحرك نحو التغيير وسط مخاوف وفتن وثورات، فيه نوع من المغامرة، ولكن المبدأ الذي ساروا عليه، حفظ لهم الذكر وحقق لهم ما يريدون، من خلال صورة شعرية نابضة بحياة أناس ثائرين، وبتاريخ مليء بصراعات سياسية. فإذا كان هؤلاء الأشخاص قد ذهبوا، فإن الفكر في شعرهم ما زال باقيا، ما يؤكد أن البقاء للكلمة والموقف. وما فعله الصعاليك خير دليل على ذلك، فنلاحظ في أشعارهم التهديد والوعيد ونبرة التحدي للسلطة والتمرد عليها، يقول مالك بن الريب ساخرا من الحارث بن حاطب الذي جدّ في طلبه:

تَـأتي حَلفـةً فِـي غَـيرِ جُــــرمِ أمـيري حــارثٌ شـبه الضّــرار
عَلــيّ لأجلـدنّ في غّـيرِ جُــــرم ولا أدنـــي فيــنفعني اعتــذارِي
وَقلتُ وَقد ضَممتُ إلـيّ جأشي تـــحلّل لا تـــألّ علـــى حـــارِ
فـإني سَــوفَ يكفينـكَ عَزمِـي ونصَّــي العــيسَ بالبلــد القفــارِ
ألا مَــن مُبلــغ مــروانَ عَنّـــي فــانّي لــيس دهــري بالفِــرارِ
وَلا جــزعٍ مــن الحــدثان يومــاً ولكـــني أرودُ لـــكم وبـــارِ[59]

يجد الباحث حرقة في نفوسهم وتصاعد زفرات الحرمان قي بعض أشعارهم؛لأنهم يعانون الحرمان الحقيقي في بعض قضايا مجتمعاتهم، فراحوا يرسمون صور الشوق ويعبرون عن لواعج الاندفاع وراء هذه الأحاسيس، فنشأت صورهم مليئة بالايغال العاطفي. فجحدر بن معاوية يسجن في عدة سجون ويشترط الحجاج في إخراجه أن ينازل أسدا جائعا — إن صحت الرواية–، وهو مكبل بقيوده، يقول متحديا الحجاج:

نَازلتُـــه إنَّ النـــزَال سَـــجيَّتي إنّــي لَــن سَــلَفي عَلَــى منهــاجِ

---

[58] ديوانه: 110– 111.

[59] ديوانه: 30– 32.

وعلمتُ أَنّي لّو أّبيت نزالَهُ … إنّي من الحجاجِ لَيسَ بنَاجِ
فقلقتُ هامتَهُ فخرّ كأنهُ … أطمُ هوىً متقوضَ الأبراجِ[60]

وربما كان الشاعر يستظهر بقبيلته ويتمرد بها ويتحدى بقوتها، وربما تحدى بها سلطان الدولة. فالشاعر سوار بن المضرب تحدى سلطان الحجاج وبني أمية بعزة قومه بني تميم:

أَتَرجُو بَنُو مَروَان سَمعِي وَطَاعَتِي … وَدُونِي تَمِيمٌ والغلاة وَرَائِيَا[61]

جاءت هذه الأشعار على شكل زفرات تحمل الثأر والانفعال والتمرد والتحدي، وتعكس ما في نفوسهم، فأثارت في نفوسهم العناد ودفعتهم إلى التناحر السياسي. وهذا ما فعله الفرزدق مع يزيد بن المهلب، يقول:

سَآبى وتَأبى لِي تَميمٌ وَربما … أَبيتُ فَلَم يقدر عَليّ أميرُ[62]

ويتحدى الفرزدق خالد بن عبد الله – والي العراق – ويتمرد عليه، لما فعله أسد بن عبد الله القسري بأشراف مصر في خراسان، وعلى رأسهم نصر بن سيار الكناني، يقول الفرزدق:

أخالدَ لولا الدينُ لَم تُعْطَ طَاعَةً … وَلولا بَنُو مَروان لَم توثقوا نَصْرَا
إذا لَوحدتم دُون شدّ وثاقه … بَني الحرب لا كشف اللقاءِ ولا ضَجرَا[63]

وهذان البيتان للفرزدق على سبيل المثال، يزخران بالأدوات الدالة على مايدور في نفسه، ومعظمها أدوات نفي: لم تعط–لم توثقوا –لا كشفها– لاضجر. وأرى أنها كلها توحي بالنفي الداخلي عند الفرزدق للواقع المرير، وهو الذي يريد تغييره الفرزدق، فالذي يساعد على الدخول في عالم القصيدة، ليس هو معرفة غرضها أو مناسبة إنشائها " بل هو إضاءتها و كشف أسرارها اللغوية وتفسير نظام بنائها وطريقة تركيبها وإدراك العلاقات فيها، وبيان الوجوه المكنة للنص من خلال المعطيات التعبيرية المبنية على تواشج المفردات والبناء النحوي الذي يعد ركيزة النص

---

[60] ديوانه، ص171.

[61] الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ط القاهرة، ص 286.

[62] المبرد: الكامل، ج1ص301.

[63] ديوانه، ص 403.

الأساسية"[64]. يبدو أن البعد السياسي الذي تحرك فيه الشعراء بسبب الأحداث التي عصفت بالعصر الأموي، هو الذي هيأ للأحداث أن تسير بهذا الاتجاه، وهذا ما جعل بعض أشعار الشعراء تتلون بالإخفاق النفسي والإحباط الذاتي وخيبة الأمل التي بسطت ظلها على هذا العصر بكل أعبائها، وتراكمت أحداثها، فارتسمت في نفوسهم أشكال الانتقام، وتعالت في أشعارهم كل صيحات الثأر، انتقاما من الواقع والسلطة الحاكمة، ورداً انفعاليا لما كان يعانيه من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، لعبت السياسة الدور الأول فيه.

التمرد النفسي:

يحتل التحليل النفسي للأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص، مكانا رفيعا في فهم نفسية الشعراء، بل هو المفتاح لفهم الدوافع الكامنة وراء قصائدهم وما تحويه هذه القصائد من أوزان وقواف وأصوات "فالعلاقة بين الأدب والنفس لا تحتاج إلى إثبات؛ لأنه ليس هناك من ينكرها، وكل ما قد تدعو الحاجة إليه، هو بيان هذه العلاقة ذاتها وشرح عناصرها"[65] والشعر هو الطريقة الوحيدة التي اهتدى بها الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتعبير والتنفيس عن انفعالاته[66]، يقول جميل بثينه:

يَا قَلْبُ وَيحكَ مَا قَلْبي بذي   وَلا الزمانُ الذي قَد مرّ مرتَجَعُ
علقتني بهوى مِنهم فقد جعلتَ   مِنَ الفراقِ حصاة القَلبِ تنصَدِعُ[67]

ينطلق التمرد هنا من نفسية الشاعر، فهو شاعر غزل، وهو يدرك أن مجتمعه لا يقبل منه مسلك العشق، حتى وإن كان عذرياً، لذا حث نفسه أو شخصية وهميةعلى عدم الالتزام بشرائع المجتمع و نواميسه، وقد ركز الشاعر على الأفعال الماضية وأدوات النهي –في النص– والتي تحمل طابع الصرامة والحدة والتمرد، فقد جاء النص ترجمة لنفسية الشاعر وما يرقد في أعماقها من خوف و تمزق و صراع.

[64] محمد عبداللطيف: الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعراء، ص16.
[65] عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص13.
[66] عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه، ص130.
[67] ديوانه، ص109–110.

وفي هذا تمرد نفسي واضح، ولعل الشاعر –حين يخاطب قلبه–يريد أن يبث أفكاره أيضاً إلى مجتمعه، ولا عجب في هذا؛ "فقد يكثر أن ينطلق الشاعر من ذاته إلى تقديم رؤية للحياة أو الكون من خلال نفسه بوصفها مفرداً من مفردات الحياة"[68]، وهذا ما أشار إليه أدونيس، فالشاعر الحقيقي ليس من يقدم عالما خاصا فحسب، بل يقدمه عميقا جديدا برؤياه وبأبعاده النفسية الإنسانية وبشكله وبنائه[69]، ونلاحظ التمرد على النفس ومحاولة مساءلتها واضحا في أبيات قيس تجاه ليلى وموقفها منه، يقول:

فَـــوالله ثـــم الله إنـــي لدائـــب — أفكـر مـا ذنـبي إليـك فأعجـبُ
ووالله مـا أدري عَـلامَ هَجَرتِنــي — وَأيّ أمـوري فيـكَ يَـا لَيْلَـى أركَـبُ
أَأقطَـعُ حَبـلَ الوَصـل فـالموتُ دونَـهُ — أَمْ أشرَبُ كأساً مـنكُم لَـيْسَ يُشـرِبُ
أم أهَـربُ حتّـى لا أرَى لـي مُجَـاوِراً — أم أفعـل مَـاذا؟ أم أبـوحُ فأغلـبُ
فَأيهمَـا يـا ليـلُ مـا تفعلينَـه — فـأولُ مهجـورٌ وآخـر مُعتـبُ[70]

عرض الشاعر هنا الأحداث النفسية الداخلية في إطارها الكلي من خلال تجربته، مصورا إحساسه المتباين في شكل صور جزئية، تشكلت من هذه الصور في النهاية الجوهر العام للأحداث التي مر بها " والتي من شأنها أن تصبح مؤشراً لانفعالات الشاعر عن طريق ربط هذه الانفعالات بالشكل الخارجي –المجتمع–؛ كي يستثير بها الآخرين "[71]. كما تكشف أبيات قيس السابقة عن أبعاد الكيان النفسي للذات الشاعرة، فهي نفسية حائرة متسائلة، تحاول أن تجد الإجابة دون جدوى، وقد جاء الجمع بين القسم المكرر والنفي والتساؤل (والله–علامَ–أأقطع–أم أفعل ماذا؟ بالإضافة إلى أسلوب الاستفهام؛ ليفجر الموقف الانفعالي و يسهم في إبراز حالة الحيرة والقلق النفسيين عند الشاعر. وهذا ما عبر عنه شوقي ضيف في قوله " وكأنه يبحث عنها عبثاً في كل مكان"[72]

---

[68] محمد عبداللطيف: اللغة وبناء الشعر، ص70.

[69] أدونيس: مقدمة الشعر العربي، ص 81.

[70] ديوانه، ص45.

[71] فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص296.

[72] ضيف: الشعر وطوابعه، ص49.

وهذا شيء طبيعي ومنطقي "فقد ارتبطت الانفعالات بالشعر والأفكار بالنثر"[73] ومثله قول كثير عزة:

وَإنّـي بتهيـامِي بَعّـزةَ بَعْـد مَـا	تَخليـتُ مِمـا بيننـا وَتَخَلّـتِ
كَـالُمرتَجي ظِـلّ الغَمامـةِ كلّمـا	تبـوّأ مِنَهـا للمقيـل اضـمَحلّتِ
كَـأنّي وَإيَاهَـا سَـحابةُ مُمْحـلِ	رَجَاها فلمّا جاوزتـهُ استَهلّتِ[74]

عبر الشاعرعن نفسه من خلال الوزن العروضي البحرالطويل، فاختار لنفسه الوزن الذي يتناسب مع حالته الشعورية فجاء الوزن العروضي –رغم أنه صورة مجردة – يحمل دلالة شعورية عامة مبهمة، ثم ترك للكلمات وأصواتها والانسجام اللفظي بينها تحديد الدلالة العامة للمتلقي، فجاء هذا البناء صورة نفسية لحالة الشاعر "حيث يكون للمفردات الواقعة في المكان والملموس والحواس أثرها المباشر في الجهاز العصبي لمتلقي العمل الفني"[75]، ومثله فعل جميل في قوله:

يَقُولونَ مَسحـورٌ يُجَـنُّ بذِكرِهَا	فَأقْسِمُ ما بي جُنونٌ وَلا سِحْرُ![76]

وظف الشاعر هنا صوت السين في النص وأكثر منه، وهو صوت مهموس يناسب تصوير الأحاسيس الداخلية، وكأن الشاعر يحس بالأصوات إحساساً دقيقاً وهذا الشيء طبيعي؛ "فمعنى القصيدة إنما يثيره بناء الكلمات بوصفها أصوات أكثر مما يثيره بناء الكلمات بوصفها معانٍ"[77]. ولو استعرضنا القصيدة كاملة[78]، لوجدناه يحاول أن يخلق نوعا من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي عن طريق الموسيقى التي تعد أساساً في كل عمل فني، والمتلقي لا يتأثر بهذه

[73] إسماعيل: الأدب وفنونه، ص30.
[74] ديوانه: ص95.
[75] إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص85.
[76] ديوانه، ص102.
[77] أرشيقالد: الشعر والتجربة، ص23.
[78] ينظر ديوانه، ص 57-59.

الموسيقى، إلا لأنها تهيء له حالة من الاندماج مع مظاهر العالم الخارجي الذي يحاول الشاعر خلقه، يقول قيس بن ذريح:

وَحَتّى دَعَانِي النّاسُ أحمقَ مِائقاً   وَقالوا: مضيعٌ للضّلالِ تَبوعُ[79]

يفاجئنا الشاعر بهذا البيت، فيبدو التمرد النفسي جلياً، إذ يصف نفسه بجملة صفات سلبية من مثل: أحمق، عائق، مضيع... تبوع، وكأنه يستحق كل أصناف التعذيب الداخلي أو جلد الذات – من وجهة نظره – بأسلوب فكاهي، وربما كانت لديه التواءات نفسية دفعته إلى هذا النمط من السلوك، وربما أثّر المجتمع بقيمه و أعرافه في نفسيته "فالعمل الفني ابتدعه إنسان له سمات نفسية معينة، وكان هذا الإنسان يعيش في مجتمع لا بد أن نظمه وقيمه أثرت في تفكيره وكيانه"[80]. وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن الفنان التعبيري، الشاعر مثلا "يقوم في عمله الفني بعملية تشكيل وراء المحسوسات وتعلو عليها "[81]، ولا شك في أن "البحر يوفر للمعنى تنسيقاً صوتياً يسند الدلالة"[82]، وبذلك نجحت الصورة الكلية في أن تنقل لنا شعور الشاعر كما تصور لنا موقفه النفسي، ولا تنقصها الحركة والحياة؛ لأنها مشتقة منهما.

التمرد القبلي:

إن التمرد على القبيلة أو الثورة عليها هو أمر مستغرب ونادر في العصر الأموي، وربما في غيره من العصور السابقة. فالشاعر ما زال بحاجة إلى قبيلتة حتى لو تعارض فكره أو مصالحه معها، ولكننا نجد بعض الأبيات القليلة التي يشعر فيها القارئ بحالة نفسية خاصة أو عبارة عن ردة فعل سريعة قالها الشاعر في لحظة معينة، فنلاحظ شعر التمرد القبلي قليل عند الشعراء، ومن ذلك ما قاله السمهرى العكلي، عندما نقم على قبيلته وقومه؛ لامتناعهم عن نصرته في حبسه، فقال:

---

[79] ديوانه، ص 112.

[80] جيروم ستولنتيز: النقد الفني، "دراسة جمالية وفلسفية، ص680.

[81] إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص57.

[82] جمال الدين ابن الشيخ: الشعرية العربية، ص269.

أَلا لَيـتَني مِـن غَـير عُكـلِ قَبيلتـي وَلَم أدرِ مَا شُبّان عُكَـل وشـيبهَا
تَرَى البابَ لا تستَطيعُ شَيئًا وراءَهُ كأنّـا قـنيَّ أسـلَمَتها كُعوبَهـا[83]

وقريب من قوله قول المرار الفقعسي:

عَفَـت المَنَـازِل غَـيرَ مِثـل الأنقـس بَعـدَ الزمـان عَرفتـه بـالقِرطِس
سَـلّ الهُمـوم إذا اعترَتـكَ بدَوْسَـرِ لَهبَ الهوَاجِرِ وَاسِعَ المُتَـنَفَّس[84]

يخاطب المرار مجالات غير بشرية، مما يعكس اتساع عالم الوهم والخيال لديه فقد اتكأ على التجسيم، مما مهد لمتعة فنية لدى المتلقي، فتخيل الشاعر الهموم بشراً آدمياً، فأخذ يوجه خطابه إليها على لسان شخصية متخيلة ويتحداها؛ ليكشف عن يأسه من عودة الماضي ثم انتظار المصير المحتوم، وهو الموت "فالشاعر يخلق عالماً من الوجود قائماً بذاته، ويملك من الحقيقة قدر ما يملك فيلسوف في نظر صاحبه"[85]، يقول الوليد بن يزيد متحدياً اليمانية بعد قتله لخالد القسري:

وَهَـذا خَالِـد فينـا قتـيل ألا مَنعـوهُ إن كَـانوا رجَـالاً
فَلَـو كَانـت قَبائِـل ذات غَريـب لَمّـا ذَهَبـت صَـنائِعُه ضَـلالا [86]

أكثر الشاعر من صوت التاء وهو حرف إطباق، جاء توظيفه هنا؛ ليدلل به على انقطاع الحياة وتوقفها لهذا الشخص الذي ستثأر له قبيلتان؛ "فجرس الأصوات والألفاظ والتراكيب الشعرية، تؤدي دوراً خطيراً في الإيحاء بالمعاني التي تبثها الصور الرمزية"[87]. ومن هذا القبيل أيضاً ما قالته أم كثير الضبية في قبيلتها مضر، عندما هزمت أمام اليمانية وقتل نصر بن سيار وهزم بنو مضر، تقول:

[83] ديوانه، ص 141.

[84] ديوانه، ص 459.

[85] بدوي: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص114.

[86] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5 ص 541.

[87] التصوير الشعري، عدنان قاسم، ص182

لاَ بَارَكَ اللهُ فِي أُنثَى وَعذبـهــا　　　تـَـزَوجَـت مُـضَـرِياً آخـر الدهرِ[88]

ويقول عبيد بن أيوب العنبري:

وَفـارقتهم والـدّهرُ موقــف فــرقة　　　عَـــواقبه دَار البلـــى وَأوائِلُـــهْ
وَأَصبحَتُ مِثلَ السّهم فِي قَعْرِ جعبـة　　　نضّيا فَضَى قـد طـال فيهـا قلاقِلُـهْ
وأصبحتُ ترميني العدا عـن جماعـةٍ　　　عَلَى ذَاكَ رَام مَن بَدَت لِـي مَقَاتِلُـهْ
فمـنهم عـدو لــي مخــال مُكاشـــح　　　وَآخر لِي تَحتَ العضاة حبائِلُـهْ[89]

يرتد الشاعر لواقعه، وإن كان ماضيه جزءا يرتبط به ارتباطا داخليا وثيقا، وجاء تكرار حرف العطف (الواو)؛ للربط بين الموقفين الحاضر المفعم بالألم والماضي المجيد، ثم وظف بعض الأصوات؛ للتعبير عن مدى أساه ونقمته على الوضع الجديد، لذلك تكررت الأصوات المفخمة أو الانفجارية " القاف – الصاد – الضاد "، وساهمت أصوات اللين في المساعدة للتعبير عن رفض هذا الموقف، ويظهر إلحاح قسوة الفراق على الشاعر من خلال تكرار اللفظ، وإن عمد إلى الإيحاء بأنه صاحب المبادرة في اتخاذ القرار، ثم تلا ذلك بالجملة الاسمية تفسيرا لما يحدث، فالدهر موقف فرقة، فهي صفة ملازمة يخفف بها عن نفسه قسوة الفراق، وكأنما كانت الفرقة قد كتبت عليه عاجلا وآجلا في الحياة والموت، لذلك كانت الكناية والطباق في الشطر الثاني يدلان دلالة قاطعة على حالة اليأس والاستسلام التي وصل إليها. "فالكلمة فيها أكثر من حروفها وموسيقاها: لها وراء حروفها ومقاطعها دقة خاصة، ودورة حياتية خاصة"[90]، فالطموح السياسي أو النزوع القبلي أو الشعور بالحرمان كلها عوامل ترفع بصورة فردية أو جماعية؛ لتجد في نفوس هؤلاء الأشخاص هوى يحملهم أو يدفعهم إلى هذا السلوك.

[88] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج6ص13.

[89] ديوانه، ص 218-219.

[90] أدونيس: مقدمة الشعر العربي، أدونيس، ص79.

التمرد الديني:

التمرد الديني هو الخروج عن بعض تعاليم الدين وليس إنكاره والطعن فيه. فالناس ليسوا سواسية، فمنهم من يجد في الدين ومثاليته الروحية مناعة ومنهم من ينحرف عنه إلى حياة ماجنة يتهالك فيها على اللهو والخمر، وأخذ الكثير منهم يندفع إلى الاستمتاع في الحياة وبالغ نفر في هذا الاستمتاع، متحررا من قوانين الدين، وكلما تقدمنا في العصر ازداد ذلك قوة وحدة[91]. قال الوليد بن يزيد في سلمى بنت سعيد بن خالد:

وصــفَت عِنْــدِي سُــلَيمَى   فَاشـتَهَى قَلـبي يَرَاهَـا
لَـو يَـرَى سُـلَمَى خَلِيلِـي   لَــدَعا سَلمـــى إلاهَــا
وَرَأى حِــــين يَراهَـــــا   رَبَّ طاســـين وطـــه[92]

ولعل ما هيأ الظروف للابتعاد عن الدين عند بعض الأفراد في هذا العصر، أن بعض خلفاء بني أمية المتأخرين، جعلوا يقبلون على اللهو، يتقدمهم في ذلك يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد الذي أكب على الخمر والمجون إكبابا، كما أكب على نظم الخمريات مع أبي الهندي شاعر سجستان[93]. ويتمادى الوليد بن يزيد في وتحرره الديني في بعض شعره، يقول:

سَجَـدَ السّاجـدون للهِ حَقـًا   وَجَعـلنـا سُجـودَنا للقـانِـي[94]

ومن الشعراء الذين رافقوا الخمرة طيلة حياتهم وتمنوا أن ترافقهم في مماتهم، غالب بن عبد القدوس، يقول:

وادفنوني وادفنوا الراح معي   واجعلوا الأقداح حولَ المقبرة[95]

---

[91] ينظر ضيف: العصر الإسلامي، ص377.

[92] ديوانه، ص 92.

[93] ضيف: العصر الإسلامي، ص380.

[94] ديوانه، ص89.

[95] الأصفهاني: الأغاني، ج21 ص 178.

يتداخل أحيانا الجانب الديني مع الجانب الاجتماعي، فالخمرة محرمة دينيا، وبالتالي مرفوضة اجتماعيا، ولكننا نضع هنا ما يعارض الدين والفكر الإسلامي صراحة، أما ما عدا ذلك فوضعناه في الجانب الاجتماعي. جلس يزيد ذات يوم– وعن يمينه سلم بن زياد – على شرابه، بعد مقتل الحسين، فأقبل على ساقيه وقال:

اسـقني شُـربةً تُـروّي مُشاشـي ثـمَّ مَـلّ فاسـقِ مثلـها ابـن زيـادِ
صَـاحب السِّـرِّ والأمانـةِ عنـدي وَلتسـديدِ مَغَنمِـي وَجِهـادِي[96]

ومما خرج به الوليد بن يزيد عن الدين ما رواه الأصفهاني عنه فقال: بات الوليد بن يزيد عند امرأة وعدته المبيت، فقال حين انصرف:

قَامَـت إلىَّ بتقبيـل تُعانِقُنـي رَيّا العِظام كأنّ المِسْكَ فِـي فِيهَـا
ادخُـل فَـديتكَ لاَ يَشـعر بنـا أَحَـدٌ نَفسِي لنفسكَ مِن داءٍ تفـدِيهَا[97]

تمكن شعراء الكوفة الماجنون في نهاية العصر الأموي من إضافة شيء ما إلى قصيدة الخمرة والنهوض بها نهضة فنية رائعة. وهذه النهضة تمثلت بشكل واضح في شعر الوليد بن يزيد الذي ساعده على ذلك نشأته المدللة، إذ نشأ بين المغنين ولهوهم وبخاصة أن حياته في خلافة عمه هشام أصابها نوع من الاضطهاد والمعاناة، فأوغل في المجون وطلب المتعة؛ ليخفف عن نفسه آلامها[98]. فإذا أردنا أن نحكم على هذا النوع من شعر الوليد حكما قريبا من الموضوعية الأدبية، فيمكن أن نقول: إنه رجل كان مستمتعا بلذاته، مسرفا في هذا الاستمتاع، ولكنه لم يبلغ من ذلك ما يقوله خصومه، ولعله لم يصل الى هذا الإسراف في الاثم، إلا لأن خصومه اضطروه إلى ذلك اضطرارا، إما باضطهادهم إياه وإما بتشنيعهم عليه وتحديهم له[99]. قال يزيد:

---

[96] ديوانه، ص 40.

[97] ديوانه، ص 92، والقصة موجودة في أخباره في الأغاني.

[98] ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 292.

[99] حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص 143.

عَللانـــــي واســــــقِيَانِي	مــــن شَــــراب أصـــبَهانِي
مِــن شَــرابِ الشّــيخ كسِــرى	أو شَــــــراب القيرَوانِـــــي
وامــــزج الكـــأسَ ولا تكـــ	ـــثِر مِـــزاجِ العَسْــقلانِي[100]

ولم تستتم الخمرية عنده وحدتها الموضوعية والمعنوية وهذا الحب الذي يجعلها كاللهب المندلع فحسب، فإنها استتمت عنده أيضا بالتفاعل الحميم بين المعاني والألفاظ، وبين المعاني والإيقاعات[101]. فقد وصف الخمر؛ لأنه كان يشربها ووصف اللذة؛ لأنه كان يستمتع بها، ووصف الصيد؛ لأنه كان يصيد، فكل هذه الفنون تحتاج إلى الشعر السهل وإلى الوزن القصير. دعا يزيد بأم خالد؛ لينال منها، فأبطأت عليه، وعرضَت له جارية سوداء من جواريه، فوقع عليها، فلمّا جاءت أمّ خالد، أنشأ يقول:

اسلَمِـي أمَّ خَالِـدِ	رُبَّ سـاعٍ لـقـاعِـدِ
إنّ تِلْكَ التي تَريْـ	ـنَ سَبـتَـنـي بـوارِدِ
تُدخلُ الأيرَ كُلَّـه	في حرٍ غيـر باردِ[102]

إن الخروج عن الدين الإسلامي والتمرد عليه، أدى الى الإفحاش والتهتك، وبخاصة أن المرأة التي كانوا يتغزلون بها ويتمتعون بها لم تكن عربية، لذا" كان الوصول إليها سهلا ميسورا وكانت تباع وتشترى وتنال بالعطاء والهبة"[103]، فانتشرت دور النخاسة وامتلأت بالفاسدات الساقطات اللواتي كن يتبارين في بذل أنفسهنّ، وبخاصة أن أكثر هؤلاء الشعراء كانوا من الموالي الذين نبذوا التقاليد العربية الإسلامية، وربما عملوا على تحطيمها مدفوعين بعامل الزندقة أو بعامل الشعوبية[104]، قال يزيد بن الوليد:

---

[100] ديوانه: 8، ص.

[101] ضيف: العصر الإسلامي، ص 383.

[102] ديوانه: 41.

[103] حسين: حديث الأربعاء، ج 2ص 28.

[104] ضيف: العصر العباسي الأول، ص 270.

أمِــنْ شُــربةٍ مِــن مَــاءِ كــرمٍ شَربتُهــَا غَضِـبتْ علـيَّ؟ الآن طَـابَ لِـي السّـكرُ
سَأشرَبُ فاغضـبْ لا رضـيتَ، كِلاهُمَـا حَبيبٌ إلى قَلْبي: عُقوقكَ والخَمْـرُ[105]

وقال:

وَهَبـــتُ النّـــوم للنـــوّا م إشـــفَاقاً عَلَـــى عُمـــري
فَمَـــا أعْـــرِفُ طَعْـــمَ النّـــو مِ إلا سَـــاعَةَ السّـــكْرِ[106]

فهو يعرض علينا ما يدور في نفسه من صراع بين موقفه من الخمرة واستمتاعه بها وبين تحريم الإسلام لها، ولكنه يخلص من هذا العرض إلى تغليب لذته على دينه في سبيل الفوز بالمتعة والنشوة، فقد دار يزيد بن الوليد في فلك الشعراء الجاهليين، إذ استعان بذاكرته التي كانت ترفده بمعانيهم وتشبيهاتهم، وكان يحشدها حشدا ويسردها سردا فجاءت معانيه قريبة وألفاظه سهلة وتراكيبها غير مبتكرة لا تعقيد فيها ولا التواء، ويقول:

ولــو قبــلَ مبكاهــا بكيــتُ صــبابةً بسـعدى شـفيتُ الـنفس قبـل التنـدمِ
ولكــنْ بكـت قبلـي، فَهَـيَّجَ لـي البكـا بُكـــاها، فكـــان الفضـــلُ للمتقـــدمِ
خفاجِيّــةُ الألحــاظِ مهضـومةُ الحشـا هِلاليـــةُ العيـــنين طائِيـــة الفـــمِ
مُنعَّمـــــةُ الأعطـــــاف يجـــــري على كَشـح مُـرتَجَّ الـرَّوادفِ أهضـم
وممشـوطةٌ بالمسـكِ قـد فـاح نَشـرُها بثغـرِ-كـأنَّ الـدُرَّ فيـه- مُنَظَّـمِ[107]

كانت الكوفة المرتع الأبرز الذي ظهر فيه التمرد الديني بشكل واضح، وقد سبق التمرد الديني وساعد على ظهوره موجة الخلاعة والمجون فيها؛ بسبب موقعها الجغرافي وتكوينها الثقافي، إضافة إلى ظروفها السياسية، إذ كانت مجاورة للحيرة مركز الأديرة والمتنزهات إضافة إلى أنها كانت موطنا مناهضا للسلطة الأموية[108]، قال يزيد بن الوليد:

---

[105] ديوانه، ص 44.

[106] ديوانه، ص 44.

[107] ديوانه، ص 64.

[108] هدارة: اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، ط دار المعارف، مصر، ط 2، 1970، ص 204.

مَا حَرَّمَ اللهُ شُربَ الخَمْرِ عَنْ عَبَثٍ   منْــهُ وَلَكــن لِســـرٍّ مُــودَعٍ فيهَــا
لَما رَأَى النّاسَ أضحَوا مُغرَمينَ بهَا   وَكُــلَّ فــنٍّ حَــووه مِــن مَعَانيهَـــا
أَوْحَى بتِحريمهَا خَوْفاً عَلَيهم بـأنّ   يُضحُوا لها سُجّداً مِن دُونِهِ تيهَا[109]

يقول الوليد بن يزيد:

أنا المُخـنـث حَـقـًا   وَإنْ لـــمْ أنيكهنّهْ[110]

وقال:

إذا مُتُّ يَـا أُمَّ الحنُيكِـلِ فانكِـحِي   وَلا تــأملي بعــدَ الفَــراقِ تَلاقِيــا
فَــإنّ الــذي حُدِّثْتُــهُ مــن لِقاَئـِــنا   أحاديثُ طَسَمٍ تَتركُ العقلَ وَاهَيا[111]

ومما ساعد على التمرد الديني في العصر الأموي، تطور الحياة الحضارية وتعدد ألوان الملاهي وتقطع الروابط الاجتماعية وتفسخها وذيوع المذاهب والآراء الإباحية التي نشط الموالي في نشرها[112]، لذا لم يجد حرجا بعض الشعراء من ذكر الألفاظ الفاحشة؛ليضمنوها أشعارهم، قال الأقيشر:

رُحْتِ وَفِي رِجليكِ عُقالةٌ   وَقَدْ بَدَا هَنكِ من المِئزرِ[113]

إن الدراسة المقارنة بين شعر الخمر في العصر الأموي وسابقيه الإسلامي والجاهلي، تؤكد القلة الواضحة في هذا الموضوع. إذ ابتعد الشعراء عن المفاخرة بها وبشربها والتفنن في صورها. وهذه القلة في الأشعار تعود إلى أن أصحابها، وإن لم يستجيبوا لها دينيا، فقد تمثلوها فنيا. أما ما نعثر عليه من شعر للخمرة والتفنن بها، فيعود — باستثناء قلة قليلة — إلى الشعراء النصارى

---

[109] ديوانه، ص 73.

[110] ديوانه، ص85.

[111] ديوانه: ص95.

[112] محمد عبدالعال: حركات الشيعة المتطرفين، ط القاهرة، 1954، ص 93.

[113] ديوانه، ص 77.

في العصر الأموي مثل: النابغة الشيباني والقطامي والأخطل، الذي يقول مستهترا بالدين الإسلامي وتعاليمه، ومتحديا الدولة متمردا على دينها:

لَســـتُ بصَـــائم رَمَضَـــانَ طَوْعًـــا وَلَسْـــتُ بآكِـــلٍ لَحْـــمَ الأَضَـــاحي
وَلـــسْتُ بزاجـــرٍ عَنْســـاً بكـــوراً إلـــــى بَطْحـــاءَ مَكّـــةَ للنَّجَـــاحِ
وَلكنّـــي سَأشـــرَبُها شَمُـــــولاً وَأســـجدُ قبـــلَ مُنـــبلجِ الصّبـــاحِ
وَلسْـــتُ بقـــائمٍ كَـــالعِيْرِ يَدْعُـــو لِوى الإصْبَاحِ: حَـيّ عَلَـى الفَـلاحِ[114]

إن مثل هذا الإصرار والتأكيد عليه، لا نجد له مثيلا عن الشعراء المسلمين، بل جاء تمردهم الديني لسبب فكري أو قريب منه، ولم يصل إلى ما وصل إليه الأخطل.

الخاتمة:

إن التمـرد الـذي ظهـر في العصـر الأمـوي علـى السـلطة مـن المعارضـة ومـن غيرهـا، لم يكـن بسـبب الصـراع علـى السـلطة فقـط، وإنمـا بـرز لأسـباب أخـرى، يـأتي في مقـدمتها سياسـة بـني أميـة، فولّـدت نوعـا مـن النقمـة والرغبـة في الانتقـام مـن هـذه الدولـة وخلفائهـا. فمـن خـلال الصـراع الفكـري المتبـادل بـين المعارضـة والسـلطة الحاكمـة، كـان لا بـد أن يجـد التمـرد مناخـا جيـدا للنمـو والظهـور، فاختفـت لغـة الحـزن والإحسـاس بالشـقاء؛ ليكـون التحـدي هـو البـديل، فانعـدمت عوامـل الشـعور بالانتمـاء لهـذا المجتمـع وحلـت بـدلا منـه محـاولات التغـيير للمجتمـع ونظمـه بـالقوة وتحـت التهديـد، وكـان كـذلك سـببا في زيـادة شـعور المعارضـة بالانسـلاخ والاقـتلاع مـن القبيلـة علـى النطـاق الضـيق، ومـن الدولـة علـى النطـاق الأوسـع، ومـن هنـا كانـت العلاقـة البديلـة هـي حالـة التمـرد والتحـدي ومحاولـة التغيير القسري.

والتمـرد حالـة نفسـية واجتماعيـة لجـأ إليهـا الشاعر؛لأسـباب كـثيرة داخليـة وخارجيـة وكـثيرا مـا تلجـأ الشخصـيات المؤهلـة ذات النـوازع الفرديـة؛ لإظهـار تمردهـا، إمـا بـالتميز

---

[114] ديوانه، ج2 ص 755 – 756.

وأخذ فرص الاستحقاق بالقوة كالنبوغ في الشعر أو البطولة أو الفروسية، وإما بالسلوك العدواني كالصعلكة. وتمثل التمرد في البعد عن القيم والتقاليد الاجتماعية في العصر الأموي، بعد أن تغيرت بعض المفاهيم والأعراف عند الشعراء وغيرهم، لذلك كان المتمردون غالباً ما ينضمون للأحزاب الثائرة والمناهضة للدولة، ولم يظهر التمرد بشكل جماعي أو على شكل جماعات إلا عند الصعاليك، أما فيما غير ذلك فهو تصرف فردي، يسعى كل منهم لتحقيق طموحات وأهداف خاصة به.

والمتمرد في العصر الأموي ارتضى لنفسه أن يكون الأداة التي تستطيع أن تأخذ المبادرة؛ للكشف عما هو مطلوب أن يكون في المجتمع، فوجد في نفسه قدرة على عرض الفكرة وبسطاً لحديث المواجهة الصريحة وكشفاً عن الجوانب السلبية التي ازدحمت بها أحداث عصره، وكذلك أخذ على نفسه تحمل المسؤولية في بناء المجتمع وتطور أحداثه ورصد سلبياته.

ببليوغرافيا

– أدونيس، محمد سعيد. **مقدمة الشعر العربي.** بيروت: د.ن، د.ت.

– إسماعيل، عزالدين. **الأدب وفنونه**. ط7. بيروت: دار الفكر العربي، 1978.

– إسماعيل، عزالدين. **التفسير النفسي للأدب**. مصر: دار المعارف، 1963.

– الأصفهاني، أبو الفرج. **الأغاني.** مصر: دار الكتب المصرية، 1997.

– أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**. ط 7. مصر: د.ن، 1933.

– بدوي، عبد الرحمن. **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي**. الكويت: د.ن، 1992.

– البلاذري، أحمد. **أنساب الأشراف.** بغداد: المثنى، د.ت.

– جبرا، جبرا إبراهيم. **الرحلة الثامنة**. بيروت: د.ن، 1967.

–الجمحي، محمد بن سلام. **طبقات فحول الشعراء**. ط 2. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: د.ن، 1956.

– **جميل بثينة، شاعر الحب العذري**. ط 2. تحقيق حسين نصار. مصر: د.ن، 1967.

– الحوفي، أحمد. **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**. ط 3. مصر: دار المعارف، 1973.

–حسين، طه. **حديث الأربعاء**. ط 11. مصر: دار المعارف، 1974.

– الرباعي، عبدالقادر. **عرار "الرؤيا والفن– قراءة من الداخل"**. ط 1. عمان: د.ن، 2002.

– الركابي، وحيد. **دراسة ارتباطية بين الإبداع وبعض الخصائص النفسية للشعراء**. د.م: : د.ن، د.ت.

– ستولنتبز، جيروم. **النقد الفني "دراسة جمالية وفلسفية"**. ترجمة فؤاد زكريا. ط 2. مصر: د.ن، 1981.

– السويدي، فاطمة. **الاغتراب في الشعر الأموي**. ط 1. القاهرة: د.ن، 1997.

–الشيخ، جمال الدين. **الشعرية العربية**. ترجمة مبارك حنون وزميليه، الدار البيضاء: د.ن، 1996.

– ضيف، شوقي. **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور**. مصر: دار المعارف،1977.

- ضيف، شوقي. **العصر الإسلامي**. ط9. مصر: دار المعارف، 1981.
- الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**. القاهرة: الاستقامة، 1939.
- عبد العال، محمد جابر. **حركات الشيعة المتطرفين**. القاهرة: د.ن، 1954.
- عبد اللطيف، محمد. **اللغة وبناء الشعر**. القاهرة: د.ن، 2001.
- عبد اللطيف، محمد. **الإبداع الموازي "التحليل النصي للشعر**. القاهرة: د.ن، 2001.
- فيدوح، عبدالقادر. **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي**. عمان: د.ن، 1988.
- قاسم، عدنان. **التصوير الشعري**. الكويت: د.ن، 1988.
- ابن قتيبة، محمد بن مسلم. **الشعر والشعراء**. تحقيق أحمد محمد شاكر. د.م: د.ن، 1966.
- **قيس ولبنى، شعر ودراسة**. تحقيق حسين نصار. مصر: د.ن، 1977.
- كشاش، محمد. **اللغة والحواس**. بيروت: د.ن، 2001.
- المرصفي، سيد. **أسرار الحماسة**. القاهرة: د.ن، 1912.
- مكليش، ارشيبالد. **الشعر والتجربة**. ترجمة سلمى الجيوسي، بيروت: د.ن، 1963.
- المبرد، أبو العباس. **الكامل في اللغة والأدب**. القاهرة: د.ن، 1308 هـ.
- هدارة، محمد. **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري**. ط 2. مصر: دار المعارف، 1970.

الدواوين والمجموعات الشعرية:

- **ديوان الأحوص**. تحقيق سعدي حناوي. بيروت: دار صادر، 1998.
- **ديوان أعشى همذان**. تحقيق حسن عيسى. د.م: د.ن، 1968.
- **ديوان الأقيشير الأسدي**. صنعة محمد علي دقة. بيروت: دار صادر، 1997.
- **ديوان أبي جلدة اليشكري**. ضمن كتاب شعراء أمويون. تحقيق نوري القيسي. بيروت: عالم الكتب، 1985.
- **ديوان ثابت قطنة**. تحقيق ماجد السامرائي. بغداد: د.ن، 1968.
- **ديوان جميل بثينة**. ط دار صادر، بيروت: د.ن، د.ت.
- **ديوان الخوارج**. تحقيق، نايف معروف. بيروت: دار الميسرة، د.ت.

– **ديوان الخوارج.** تحقيق إحسان عباس. بيروت د.ن، د.ت.

– **ديوان السمهرى العكلي.** (ضمن كتاب شعراء أمويون). تحقيق نوري حمودي القيسي. بغداد: د.ن، 1974.

– **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات.** تحقيق محمد يوسف نجم. بيروت: دار صادر، د. ت.

– **ديوان عبيد الله بن أيوب العنبري.** (ضمن كتاب شعراء أمويون). تحقيق نوري حمودي القيسي. بغداد: د.ن، 1974.

– **ديوان عروة بن أذينة.** بيروت: دار صادر، 1996.

– **ديوان كثير عزة.** تحقيق إحسان عباس. بيروت: د.ن، 1971.

– **ديوان المرار الفقعسي.** (ضمن كتاب شعراء أمويون). تحقيق نوري حمودي القيسي. بغداد: د.ن، 1976.

– **شعر طريح بن اسماعيل الثقفي.** جمع وتحقيق بدر أحمد ضيف. مصر: د.ن، 1987.

– **هاشميات الكميت.** تحقيق داود سلوم ونوري حمودي القيسي. بيروت: د.ن، 1984.

الرسائل الجامعية:

– الجرموزي، أحمد. **الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية.** رسالة دكتوراه. مخطوطة. جامعة القاهرة، 1992.

المجلات:

– أبو زيد، أحمد. "الاغتراب." **مجلة عالم الفكر** م10 ع1، الكويت، 1979.